قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سورة الزمر-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ
﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾
لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

(قَالَ)الله تعالى (فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ)أي: الحق و صفي، و الحق قولي.84

(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[السَّجْدَة: 13] 85

فلما بين الرسول للناس الدليل و وضح لهم السبيل قال الله له:-(قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ)على دعائي إياكم

(مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ) أدعي أمرا ليس لي، و أقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إليَّ86

(إِنْ هُوَ)أي: هذا الوحي و القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ)الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ-
يتذكرون به كل ما ينفعهم،من مصالح دينهم و دنياهم،فيكون رفعة للعاملين به،و إقامة حجة على المعاندين.
فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، و وصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين. 87

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ)أي: خبره (بَعْدَ حِينٍۭ) و ذلك حين يقع عليهم العذاب و تتقطع عنهم الأسباب. 88

تفسير سورة الزمر وهي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)يخبر تعالى عن عظمة القرآن، و جلالة من تكلم به و نزل منه، و أنه نزل من الله

(ٱلْعَزِيزِ)الْمَنِيعِ الْجَنَابِ(ٱلْحَكِيمِ)فِي أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ، وَ شَرْعِهِ، وَ قَدَرِهِ. 1

(إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ)فنزل بالحق الذي لا مرية فيه،لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور،
و نزل مشتملا على الحق في أخباره الصادقة، و أحكامه العادلة فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق،
من جميع المطالب العلمية

(فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ)أخلص للّه تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة و الشرائع الباطنة:–
الإسلام و الإيمان و الإحسان، بأن تفرد اللّه وحده بها،و تقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد 2

(أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ)لَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ الْعَامِلُ لِلَّهِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

و أخبر بذم من أشرك به فقال:–(وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ)يتولونهم بعبادتهم و دعائهم،
معتذرين عن أنفسهم و قائلين(مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ)و تقربنا عنده منزلة–لترفع حوائجنا للّه،
و تشفع لنا عنده،و إلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، و لا ترزق، و لا تملك من الأمر شيئا.
و لهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين و المشركين،و في ضمنه التهديد للمشركين

(إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)سَيَفْصِلُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَ يَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي) لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم (مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ)وصفه الكذب أو الكفر،
بحيث تأتيه المواعظ و الآيات و لا يزول عنه ما اتصف به، و يريه اللّه الآيات، فيجحدها و يكفر بها
و يكذب، فهذا أنَّى له الهدى و قد سد على نفسه الباب،و عوقب بأن طبع اللّه على قلبه، فهو لا يؤمن؟ 3

(لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا) كما زعم ذلك من زعمه،من سفهاء الخلق(لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ)
بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاءه،و اختصه لنفسه و جعله بمنزلة الولد، و لم يكن حاجة إلى اتخاذ الصاحبة.

(سُبۡحَٰنَهُۥۖ)عما ظنه به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون.-تَعَالَى وَ تَنَزَّهَ وَ تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ،

(هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ)(الْأَحَدُ) في ذاته،و في أسمائه، و في صفاته،و في أفعاله،الْفَرْدُ الصَّمَدُ،
الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ عَبْدٌ لَدَيْهِ، فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَ هُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ الَّذِي قَدْ قَهَرَ الْأَشْيَاءَ فَدَانَتْ لَهُ وَ ذَلَّتْ
وَ خَضَعَتْ

(ٱلۡقَهَّارُ)

لجميع العالم العلوي و السفلي،فلو كان له ولد لم يكن مقهورا،و لكان له إدلال على أبيه و مناسبة منه 4

(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ)بالحكمة و المصلحة، و ليأمر العباد و ينهاهم، و يثيبهم و يعاقبهم.

(يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ)يدخل كلا منهما على الآخر، و يحله محله،

فلا يجتمع هذا و هذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه.

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ)بتسخير منظم، و سير مقنن (كُلٌّ)من الشمس و القمر

(يَجۡرِي)متأثرا عن تسخيره تعالى (لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ)و هو انقضاء هذه الدار و خرابها

فيخرب اللّه آلاتها و شمسها و قمرها، و ينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار.

(أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ)الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء،

الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، و سخرها تجري بأمره.

(ٱلۡغَفَّٰرُ) لذنوب عباده التوابين المؤمنين 5

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ
فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ
مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

و من عزته أن(خَلَقَكُم)على كثرتكم و انتشاركم في أنحاء الأرض-مَعَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِكُمْ وَ أَصْنَافِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ (مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) وَ هُوَ آدَمُ ﷺ (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)

و ذلك ليسكن إليها و تسكن إليه، و تتم بذلك النعمة.وَ هِيَ حَوَّاءُ،

(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ)خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم(ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ)و هي التي ذكرها في سورة الأنعام

و خصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لــــــ:-

1-كثرة نفعهـــــــا2-و عموم مصالحها3-و لشرفهــــــــا4-و لاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية و الهدي، و العقيقة، و وجوب الزكاة فيها، 5-و اختصاصها بالدية.

و لما ذكر خلق أبينا و أمنا،ذكر ابتداء خلقنا فقال:(يَخْلُقُكُمْ)قَدَّرَكُمْ (فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ)

***يَكُونُ أَحَدُكُمْ أَوَّلًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً، ثُمَّ يُخْلَقُ فَيَكُونُ لَحْمًا وَ عَظْمًا وَ عَصَبًا وَ عُرُوقًا، وَ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَصِيرُ خَلْقًا آخَرَ، -طورا بعد طور

أنتم في حال لا يد مخلوق تمسكم،و لا عين تنظر إليكم، و هو قد رباكم في ذلك المكان الضيق

(فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ)ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم،ثم ظلمة المشيمة[الَّتِي هِيَ كَالْغِشَاوَةِ وَ الْوِقَايَةِ عَلَى الْوَلَدِ]

(ذَٰلِكُمُ)الذي خلق السماوات و الأرض،و سخر الشمس و القمر،و خلقكم و خلق لكم الأنعام و النعم

(ٱللَّهُ رَبُّكُمْ)المألوه المعبود، الذي رباكم و دبركم

(لَهُ ٱلْمُلْكُ)المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده،

❍فكما أنه الواحد في خلقه و تربيته لا شريك له في ذلك،فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له،

و لهذا قال:-(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ)فكيف تعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره مِن خلقه؟ 6

(إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ)

لا يضره كفركم كما لا ينتفع بطاعتكم و لكن أمره و نهيه لكم محض فضله و إحسانه عليكم.

(وَلَا يَرْضَىٰ)لَا يُحِبُّهُ وَ لَا يَأْمُرُ بِهِ(لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ)لكمال إحسانه بهم، و علمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها،و لأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يَدَعُوا ما خلقهم لأجله.

(وَإِن تَشْكُرُوا۟) للّه تعالى بتوحيده،و إخلاص الدين له(يَرْضَهُ لَكُمْ)لرحمته بكم، و محبته للإحسان عليكم، و لفعلكم ما خلقكم لأجله.و كما أنه لا يتضرر بشرككم و لا ينتفع بأعمالكم و توحيدكم

كذلك كل أحد منكم له عمله، من خيـــــر و شـــر

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، بَلْ كُلٌّ مُطَالَبٌ بِأَمْرِ نَفْسِهِ،

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ)في يوم القيامة(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)إخبارا أحاط به علمه،و جرى عليه قلمه، و كتبته عليكم الحفظة الكرام، و شهدت به عليكم الجوارح، فيجازي كلا منكم ما يستحقه.

(إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)

بنفس الصدور، و ما فيها من وصف برٍّ أو فجور، و المقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام 7

(وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ)يخبر تعالى عن كرمه بعبده و إحسانه و بره، و قلة شكر عبده،

و أنه حين يمسه

(ضُرٌّ)من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بَحْرٍ أو غيره،أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا اللّه

(دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ)فيدعوه متضرعا منيبا،و يستغيث به في كشف ما نزل به و يلح في ذلك.
عِنْدَ الْحَاجَةِ يَضْرَعُ وَ يَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ) اللّه (نِعْمَةً مِّنْهُ)بأن كشف ما به من الضر و الكربة،فِي حَالِ الرَّفَاهِيَةِ يَنْسَى ذَلِكَ الدُّعَاءَ وَ التَّضَرُّعَ،(نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ)أي: نسي ذلك الضر الذي دعا اللّه لأجله، و مر كأنه ما أصابه ضر، و استمر على شركه. (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) فِي حَالِ الْعَافِيَةِ يُشْرِكُ بِاللَّهِ، وَ يَجْعَلُ لَهُ أَنْدَادًا.

(لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ)بنفسه، و يضل غيره،لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

(قُلۡ)لهذا العاتي، الذي بدل نعمة اللّه كفرا:– (تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ)

فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار 8

(أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ)أم من هو عابد لربه طائع له(ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ)

جَوْفُ اللَّيْلِ وَ قَالَ آخرون:-أَوَّلُهُ وَ أَوْسَطُهُ وَ آخِرُهُ.(سَاجِدًا وَقَآئِمًا)حَالِ سُجُودِهِ وَ فِي حَالِ قِيَامِهِ؛

(يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ)فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ فَلْيَكُنِ الرَّجَاءُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ،

كمن هو(قَٰنِتٌ)مطيع للّه بأفضل العبادات و هي الصلاة، و أفضل الأوقات و هو أوقات الليل،

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ)ربهم و يعلمون دينه الشرعي و دينه الجزائي

(وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ)شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء و لا هؤلاء،كما لا يستوي الليل و النهار، و الضياء و الظلام، و الماء و النار.

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ)إذا ذكروا(أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)أي: أهل العقول الزكية الذكية 9

(قُلۡ)مناديا لأشرف الخلق،(يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ)

و هم المؤمنون، آمرا لهم بأفضل الأوامر،و هي التقوى،ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى،و هو ربوبية اللّه لهم و إنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه،و من ذلك ما مَنَّ اللّه عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى،

فقال:–(لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا) بعبادة ربهم(حَسَنَةٞۗ)و رزق واسع، و نفس مطمئنة، و قلب منشرح، كما قال تعالى:–(**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**)

(وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ)إذا منعتم من عبادته في أرض،فهاجروا إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم

(إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ)و هــذا عــام في جميــع أنواع الصبــــر:–

1–الصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها2–و الصبر عن معاصيه فلا يرتكبها3–و الصبر على طاعته

(أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ)

بغير حد و لا عد و لا مقدار و ما ذاك إلا لفضيلة الصبر و محله عند اللّه، و أنه معين على كل الأمور 10

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾
لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ
أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

(قُلْ)يا أيها الرسول للناس:-(إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ)في قوله في أول السورة:-

(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) 11

(وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ)و أمرني بأن أكون أول من أسلم من أمتي

-لأني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم،فيقتضي أني أول من ائتمر بما آمر به، و أول من أسلم،

و هذا الأمر لا بد من إيقاعه من محمد ﷺ، و ممن زعم أنه من أتباعه،

فلابــــــد مـــــــن:-1-الإسلام في الأعمال الظاهرة2-و الإخلاص لله في الأعمال الظاهرة و الباطنة12

(قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي)في ما أمرني به من الإخلاص و الإسلام.

-وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَ هَذَا شَرْط، وَ مَعْنَاهُ التَّعْرِيض بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى

(عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)يخلد فيه من أشرك، و يعاقب فيه من عصى 13

(قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي)وَ هَذَا أَيْضًا تَهْدِيدٌ و تَبَرّ مِنْهُمْ14(فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ)

كما قال تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

(قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ)هَذَا هُوَ الْخَسَارُ الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ الْوَاضِحُ-إِنَّمَا الْخَاسِرُونَ كُلَّ الْخُسْرَانِ

–حقيقــة هـم (ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ)حيث حرموها الثواب و استحقت بسببهم وخيم العقاب

(وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)أي فُرِقَ بينهم و بينهم و اشتد عليهم الحزن و عظم الخسران

(أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ) الذي ليس مثله خسران و هو خسران مستمر لا ربح بعده بل و لا سلامة15

(لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ)أي قطع عذاب كالسحاب العظيم

(وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ) كَمَا قَالَ:-{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الْأَعْرَافِ:41]

(ذَٰلِكَ)الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار سوط يسوق اللّه به عباده إلى رحمته

(يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ)إِنَّمَا يَقص خَبَرَ هَذَا الْكَائِنِ لَا مَحَالَةَ لِيُخَوِّفَ بِهِ عِبَادَهُ،لِيَنْزَجِرُوا عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ.

(يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ)اخْشَوْا بَأْسِي وَ سَطْوَتِي، وَ عَذَابِي وَ نِقْمَتِي16

(وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا)عبادة غير اللّه، فاجتنبوها في عبادتها.

(وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ)بعبادته و إخلاص الدين له،فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام،

و من الشرك و المعاصي إلى التوحيد و الطاعات،

(لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ)التي لا يقادر قدرها، و لا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها،

و هــــــذا شامــــــل للبشرى في الحياة الدنيــــــا بــــــ:–

1–الثنــــــاء الحسن 2–و الـــــرؤيا الصالحة3–و العنــــاية الربانية من اللّه، التي يرون في خلالها،

أنه مريد لإكرامهم في الدنيا و الآخرة،

و لهــــم البشــــــرى في الآخــــــرة :–عند الموت، و في القبر، و في القيامة،

و خاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه و بره و إحسانه و حلول أمانه في الجنة.

(فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ)يَفْهَمُونَهُ وَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى حِينَ آتَاهُ التَّوْرَاةَ: -

{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الْأَعْرَافِ:145]

(ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ)لأحسن الأخلاق و الأعمال

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)العقول الزاكية.و من لبهم و حزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره،

و هذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، و قبيحها،

ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز،لكن غلبت شهوته عقله،فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر

الأحسن، كان ناقص العقل18

(أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ)أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه و عناده و كفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، و لا تقدر تنقذ من في النار لا محالة19

(لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ) لكن الغنى كل الغنى، و الفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من الكرامة و أنواع النعيم، ما لا يقادر قدره.

(لَهُمۡ غُرَفٞ) منازل عالية مزخرفة، من حسنها و بهائها و صفائها أنه يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها، و من علوها و ارتفاعها،أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي،

(مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ)بعضها فوق بعض

(مَّبۡنِيَّةٞ) بذهب و فضة، و ملاطها المسك الأذفر.

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)

المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة و الأشجار الطاهرة،فتغل بأنواع الثمار اللذيذة، و الفاكهة النضيجة.

(وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ) و قد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به 20

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ)يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء،

(فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)أودعه فيها ينبوعا، يستخرج بسهولة و يسر

(ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ)من بر و ذرة، و شعير و أرز، و غير ذلك.

(ثُمَّ يَهِيجُ)عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه

(فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا)قَدْ خَالَطَهُ اليُبْس(ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ)ثُمَّ يَعُودُ يَابِسًا يَتَحَطَّمُ–متكسرا

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)يذكـــــــرون بهـــــــا:–

1–عناية ربهم و رحمته بعباده حيث يسر لهم هذا الماء،و خزنه بخزائن الأرض تبعا لمصالحهم.

2–و يذكرون به كمال قدرته، و أنه يحيي الموتى،كما أحيا الأرض بعد موتها،

3–و يذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة21

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ
أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ
وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ
وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ
لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ)أفيستوي من شرح اللّه صدره للإسلام،فاتسع لتلقي أحكام اللّه و العمل بها، منشرحا قرير العين، على بصيرة من أمره، و هو المراد بقوله: (فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ)

كمن ليس كذلك، بدليل قوله:(فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ)لا تلين لكتابه، و لا تتذكر آياته، و لا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره،فهؤلاء لهم الويل الشديد، و الشر الكبير.

(أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ)و أي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟22

(ٱللَّهُ نَزَّلَ)يخبر تعالى عن كتابه الذي نزله أنه (أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ)على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام اللّه، و أحسن الكتب المنزلة من كلام اللّه هذا القرآن، و إذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ و أوضحها، و أن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه و معناه،

(مُّتَشَٰبِهٗا)أَنَّ سِيَاقَاتِ الْقُرْآنِ تَارَةً تكونُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ-متشابها في الحسن و الائتلاف و عدم الاختلاف، بوجه من الوجوه.*حتى إنه كلما تدبره المتدبر، و تفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، و يجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع (مَّثَانِيَ)تثنى فيه القصص و الأحكام، و الوعد و الوعيد و صفات أهل الخير،و صفات أهل

الشر،و تثنى فيه أسماء اللّه و صفاته، و هذا من جلالته، و حسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق،و أن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار،

فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت،و كلما تكرر سقيها حسنت و أثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام اللّه تعالى عليه،

و أنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، و لم تحصل النتيجة منه،

-وَ تَارَةً تكونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ وَ ضِدِّهِ، كَذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْكَافِرِينَ،
وَ كَصِفَةِ الْجَنَّةِ ثُمَّ صِفَةِ النَّارِ، وَ مَا أَشْبَهَ هَذَا، فَهَذَا مِنَ الْمَثَانِي،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الِانْفِطَارِ:14، 13] ،وَ كَقَوْلِهِ {كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [الْمُطَفِّفِينَ:7] إِلَى أَنْ قَالَ:{كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ}[الْمُطَفِّفِينَ:18]

فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَثَانِي،أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ،

❍و لما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثَّر في قلوب أولي الألباب المهتدين،فلهذا قال تعالى:

(تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)لما فيه من التخويف و الترهيب المزعج،

(ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ)عند ذكر الرجاء و الترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير،

و تارة يرهبهم من عمل الشر (ذَٰلِكَ)الذي ذكره اللّه من تأثير القرآن فيهم

(هُدَى ٱللَّهِ)هداية منه لعباده،و هو من جملة فضله و إحسانه عليهم

(يَهْدِى بِهِۦ)بسبب ذلك (مَن يَشَآءُ) من عباده.

(وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ)لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه و التوفيق للإقبال على كتابه،

فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى،و ما هو إلا الضلال المبين و الشقاء23

(أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ)أفيستوي هذا الذي هداه اللّه، و وفقه لسلوك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن كان في الضلال و استمر على عناده حتى قدم القيامة،فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء و أدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، فهو يتقي فيه سوء العذاب لأنه قد غلت يداه و رجلاه (وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ) أنفسهم، بالكفر و المعاصي، توبيخا و تقريعا:-

(ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ)كَمَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الْمُلْكِ:22]

وَ اكْتَفَى فِي هَذِهِ الآيَةِ بِأَحَدِ الْقِسْمَيْنِ عَنِ الآخَرِ24

(كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)من الأمم كما كذب هؤلاء(فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)

جاءهم في غفلة أول نهار، أو هم قائلون25

(فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ)بذلك العذاب (ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)فافتضحوا عند اللّه و عند خلقه

(وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ)فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب26

(وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ) ضرب الله في القرآن من جميـــــــــع الأمثـــــــــال:–

1–أمثال أهل الخير2–و أمثال أهل الشر3–و أمثال التوحيد و الشرك4–و كل مثل يقرب حقائق الأشياء،

و الحكمة في ذلك(لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)

عندما نوضح لهم الحق فيعلمون و يعملون-فَإِنَّ الْمَثَلَ يُقَرّب الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ27

(قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا)جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب.

(غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ)ليس فيه خلل و لا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه و لا في معانيه،

(لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية و العملية،

بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب اللّه فيه من كل مثل28

Oثم ضرب مثلا للشرك و التوحيد فقال:–(ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا)عبدا(فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ) فهم كثيرون،

و ليسوا متفقين على أمر من الأمور و حالة من الحالات حتى تمكن راحته،بل هم متشاكسون متنازعون فيه،

كل له مطلب يريد تنفيذه و يريد الآخر غيره،فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

(وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ)خالصا له، قد عرف مقصود سيده، و حصلت له الراحة التامة(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ)

أي: هذان الرجلان (مَثَلًاۚ) ؟لا يستويان. كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا فتراه

لا يستقر له قرار، و لا يطمئن قلبه في موضع، و الموحد مخلص لربه،قد خلصه اللّه من الشركة لغيره،

فهو في أتم راحة و أكمل طمأنينة فـــــــــ(هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ)

على تبيين الحق من الباطل، و إرشاد الجهال (بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)29

(إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)كلكم لا بد أن يموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) 30

(ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ)

فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل،و يجازي كُلا ما عمله (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) 31

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ
٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ
ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٣٥ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ
٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٤٠

(فَمَنْ أَظْلَمُ) محذرا و مخبرا:– أنه لا أظلم و أشد ظلما(مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ)

إمـــــا :–1–بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله2–أو بادعاء النبوة3–أو الإخبار بأن اللّه تعالى قال كذا،

أو أخبر بكذا،4–أو حكم بكذا و هو كاذب،فهذا داخل في قوله تعالى:–(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)

إن كان جاهلا و إلا فهو أشنع و أشنع.

(وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ)

ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه،

لأنه رد الحق بعد ما تبين له،فإن كان جامعا بين الكذب على اللّه و التكذيب بالحق، كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ)

يحصل بها الاشتفاء منهم، و أخذ حق اللّه من كل ظالم و كافر.

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)32

(وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ)هو رسول اللهﷺ-الانبياءOفي قوله و عمله،فدخل في ذلك الأنبياء و من قام مقامهم،

ممن صدق فيما قاله عن خبر اللّه و أحكامه،و فيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِۦٓ) محمد ﷺ-الاتباع-المسلمونOأي:– بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق،

و لكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله و أتى به

فلا بد في المدح من الصدق و التصديق،

فصدقه يدل على علمه و عدله، و تصديقه يدل على تواضعه و عدم استكباره.

(أُوْلَٰٓئِكَ)الذين وفقوا للجمع بين الأمرين

(هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ)فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق و التصديق به33

(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ)من الثواب، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر

(ذَٰلِكَ جَزَآءُ)الذين يعبدون اللّه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم (ٱلۡمُحۡسِنِينَ)إلى عباد اللّه34

(لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ)أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم و تقواهم،

(وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)بحسناتهم كلها

عمـــــل الإنســـــان له ثـــــلاث حـــــالات بـ

1–إما أســــوأ2–أو أحســــن3–أو لا أســـوأ و لا أحســـــن.و القسم الأخير قسم المباحات

و ما لا يتعلق به ثواب و لا عقاب، و الأسوأ، المعاصي كلها،و الأحسن الطاعات كلها35

(أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ)محمدًاﷺوعيد المشركين و كيدهم من أن ينالوه بسوء؟

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ)من الأصنام و الأنداد أن تنالك بسوء،و هذا من غيهم و ضلالهم.

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ)مَنِيعِ الْجَنَابِ لَا يُضَامُ، مَنِ اسْتَنَدَ إِلَى جَنَابِهِ وَ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ 36

(وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ

لأنه تعالى الذي بيده الهداية و الإضلال،و هو الذي ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن

(أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ)له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، و بعزته يكفي عبده و يدفع عنه مكرهم

(ذِي ٱنتِقَامٖ)ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته37

(وَلَئِن سَأَلۡتَهُم)و لئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه،و أقمت عليهم دليلا من أنفسهم،

فقلت:–(مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئا.

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)الذي خلقها وحده (قُلۡ) لهم مقررا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة اللّه:–

(أَفَرَءَيْتُم)أخبروني (مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ)أيَّ ضر كان.

(هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ)بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟

(أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ)يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي(هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ)

Oو مانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر و لا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، و أنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده،

و أن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق

و النفع و الضر، مستجلبا كفايته، مستدفعا مكرهم و كيدهم:-

(قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ)يكفيني

(عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم و دفع مضارهم

فالذي بيده – وحده – الكفاية هو حسبي،سيكفيني كل ما أهمني و ما لا أهتم به38

(قُلْ)لهم يا أيها الرسول:-(يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ)

على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم،من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئا و لا له من الأمر شيء.

(إِنِّى عَٰمِلٌ)على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين للّه تعالى وحده(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)لمن العاقبة39

و (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ)في الدنيا(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) في الأخرى

(عَذَابٌ مُّقِيمٌ) لا يحول عنه و لا يزول،و هذا تهديد عظيم لهم، و هم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم

و لكن الظلم و العناد حال بينهم و بين الإيمان40

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ
فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ
﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ
إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ
لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ)

فـــــى:-أخبـــــاره و أوامــــــره و نواهيــــــه، الذي هو مادة الهداية،
و بلاغ لمن أراد الوصول إلى اللّه و إلى دار كرامته،و أنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ)بنوره و اتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه

(وَمَن ضَلَّ)بعدما تبين له الهدى(فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ)لا يضر اللّه شيئا

(وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ)

تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها،و تجبرهم على ما تشاء،و إنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به41

(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا) و هذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.
و إخباره أنه يتوفى الأنفس و إضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت و أعوانه
كما قال تعالى:(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخــــــالق المــــــدبر
و يضيفها إلى أسبابهــــــا، باعتبار أن من سننه تعالى و حكمتــه أن:-جعل لكل أمر من الأمور سببا.

(وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ)

و هذه الموتة الصغرى، أي: و يمسك النفس التي لم تمت في منامها،

(فَيُمۡسِكُ) من هاتين النفسين النفس

(ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ) و هي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرۡسِلُ)النفس(ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ)إلى استكمال رزقها و أجلها.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ)على كمال اقتداره، و إحيائه الموتى بعد موتهم42

و فـــى هــــذه الآيـــــة:-

1-دليل على أن الروح و النفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن،

2-و أنها مخلوقة مدبرة، يتصرف اللّه فيها في الوفاة و الإمساك و الإرسال،

3-و أن أرواح الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحادث،

فيرسل اللّه أرواح الأحياء، و يمسك أرواح الأموات.

(أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ)

ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم و يسألهم و يعبدهم.

(قُلۡ)لهم - مبينا جهلهم،و أنها لا تستحق شيئا من العبادة:-

(أَوَلَوۡ كَانُواْ)من اتخذتم من الشفعاء

(لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا)لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،

(وَلَا يَعۡقِلُونَ)بل و ليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به،لأنها جمادات من أحجار و أشجار و صور و أموات فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟ أم هو من أضل الناس و أجهلهم و أعظمهم ظلما؟ 43

(قُل)لهم: (لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ)لأن الأمر كله للّه.و كل شفيع فهو يخافه، و لا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده،أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين.

ﭣثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

جميع ما فيهما من الذوات و الأفعال و الصفات فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، و تخلص له العبادة.

(ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، و من أشرك به بالعذاب الوبيل44

ﭣيذكر تعالى حالة المشركين، و ما الذي اقتضاه شركهم أنهم

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ)توحيدا له، و أمر بإخلاص الدين له، و ترك ما يعبد من دونه،

(ٱشۡمَأَزَّتۡ)انقبضت و ينفرون، و يكرهون ذلك أشد الكراهة

(قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ)كقوله:{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}[الصَّافَّاتِ:35]
عَنِ الْمُتَابَعَةِ وَ الِانْقِيَادِ لَهَا.فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ،وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ)من الأصنام و الأنداد، و دعا الداعي إلى عبادتها و مدحها

(إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ)بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، و لكون الشرك موافقا لأهوائهم 45

(قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)خالقهما و مدبرهما

(عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ) الذي غاب عن أبصارنا و علمنا

(وَٱلشَّهَٰدَةِ)الذي نشاهد (أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

فِي دُنْيَاهُمْ سَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ نُشُورِهِمْ، وَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ46

(وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ)ليفتدوا به

(مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ)و ينجوا منه، ما قبل منهم، و لا أغنى عنهم من عذاب اللّه شيئا

(يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ)

يظنون من السخط العظيم، و المقت الكبير،و قد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

وَ ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَ لَا فِي حِسَابِهِمْ47

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا
ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾
أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ
وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(وَبَدَا)ظهر(لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم و كسبهم(وَحَاقَ)أحاط (بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)من الوعيد و العذاب الذي نزل بهم، و ما حل عليهم العقاب48

(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ)يخبر تعالى عن حالة الإنسان و طبيعته، أنه حين يمسه ضر، مــن:-
مـــرض أو شـــدة أو كـــرب.

(دَعَانَا) ملحا في تفريج ما نزل به(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ)أعطيناه(نِعْمَةً مِّنَّا)فكشفنا ضره و أزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، و لمعروفه منكرا و (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ)

- أي: علم من اللّه، أني له أهل، و أني مستحق له،لأني كريم عليه
- أو على علم مني بطرق تحصيله.

قال الله (بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ)يبتلي اللّه به عباده لينظـــــــر من يشكره ممن يكفـــــــره.

(وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ)لجهلهم و سوء ظنهم(لَا يَعْلَمُونَ)

*أن ذلـــــك:-

1-استدراج لهم من الله،

2-و امتحان لهم على شكر النعم.

○فلذلك يعدون الفتنة منحة و يشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر49

قال تعالى:-(قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)أي: قولهم(إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ)

فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، و لا يرون له حقا،

فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا،

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم)حين جاءهم العذاب(مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)من الأموال و الاولاد 50

(فَأَصَابَهُمۡ)كما أصاب أولئك(سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ)أى:- العقوبات لأنها تسوء الإنسان و تحزنه

(وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)

فليسوا خيرا من أولئك، و لم يكتب لهم براءة في الزبر

(وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ)و ما هم بفائتين الله و لا سابقيه51

(أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ)و لما ذكر أنهم اغتروا بالمال، و زعموا – بجهلهم – أنه يدل على حسن حال صاحبه،

أخبرهم تعالى:-أن رزقه، لا يدل على ذلك، و أنه (يَبۡسُطُ)يُوَسِعُ(ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ)

من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا(وَيَقۡدِرُ)الرزق، أي:-يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا،

فرزقه مشترك بين البرية، و الإيمان و العمل الصالح يخص به خير البرية

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ)لعبرا و حججا(لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)أي:بسط الرزق و قبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك،

عائد إلى الحكمة و الرحمة، و أنه أعلم بحال عبيده، فقـــد يضيـــق عليهم الـــرزق:-

1-لطفــــا بهم،لأنـــــه لو بسطه لبغوا في الأرض،

2-فيكون تعالى مراعيا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم و فلاحهم52

*يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه،و يحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:-

(قُلۡ)يا أيها الرسول و من قام مقامه من الدعاة لدين اللّه، مخبرا للعباد عن ربهم:-

(يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)

باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب،و السعي في مساخط علام الغيوب.

(لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ)لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة،

و تقولوا قد كثرت ذنوبنا و تراكمت عيوبنا،فليس لها طريق يزيلها و لا سبيل يصرفها،

فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان،متزودين ما يغضب عليكم الرحمن،

و لكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه و جوده،

(إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ)و اعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، و القتل،و الزنا،و الربا،و الظلم، و غير ذلك من الذنوب الكبار و الصغار.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)أي:–وصفه المغفرة و الرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما53

(وَأَنِيبُوٓاْ)ارجعوا الى الله و استسلموا(إِلَىٰ رَبِّكُمۡ)بقلوبكم(وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ)بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة:– دخلت فيها أعمال الجوارح،و إذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

(مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ)مجيئا لا يدفع(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)54

فكأنه قيل: ما هي الإنابة و الإسلام؟ و ما جزئياتها و أعمالها ؟

فأجاب تعالى بقوله: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم)

مما أمركم من الأعمال الباطنة:–كمحبة اللّه، و خشيته، و خوفه، و رجائه، و النصح لعباده، و محبة الخير لهم، و ترك ما يضاد ذلك.

و من الأعمال الظاهرة:–كالصلاة، و الزكاة و الصيام، و الحج، و الصدقة، و أنواع الإحسان، و نحو ذلك، مما أمر اللّه به، و هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا،

فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور و نحوها هو المنيب المسلم

(مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً)فجأة (وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ)و أنتم لا تعلمون به54

ثم حذرهم (أَن)يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، و لا تنفع الندامة.

و (تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)أي: في جانب حقه.

(وَإِن كُنتُ)في الدنيا(لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ)في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا 56

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ
لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ
وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾
لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾
وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ)

« لو » في هذا الموضع للتمني، أي:-ليت أن اللّه هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب و أستحق الثواب،

(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ)و تجزم بوروده(لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً)رجعة إلى الدنيا(فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)58

قال تعالى:-إن ذلك غير ممكن و لا مفيد،و إن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها

(بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي)الدالة دلالة لا يمترى فيها على الحق(فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ)عن اتباعها

(وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ)فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث59

(وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)بكذبهم و افترائهم

و الكـــذب على اللّه يشمـــل:-

1-الكذب عليه باتخاذ الشريك و الولد و الصاحبة 2-و الإخبار عنه بما لا يليق بجلاله.

3-أو ادعـــاء النبوة4-أو القول في شرعه بما لم يقله و الإخبار بأنه قاله و شرعه.

يخبر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه،و أن (وُجُوهُهُم)يوم القيامة

(مُّسْوَدَّةٌ)كأنها الليل البهيم(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى)مأوى (لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)عن الحق، و عن عبادة ربهم 60

و لما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين فقال:–(وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ)
بنجاتهم،و ذلك لأن معهم آلة النجاة،و هي تقوى اللّه تعالى، التي هي العدة عند كل هول و شدة
(لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ)العذاب الذي يسوؤهم(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)على ما فاتهم من حظوظ الدنيا 61
يخبر تعالى عن عظمته و كماله، الموجب لخسران من كفر به فقال:–(ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ)
هذه العبارة و ما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تـــدل على:–
أن جميع الأشياء – غير اللّه – مخلوقـــــة،ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين بقدم الأرض و السماوات،و كالقائلين بقدم الأرواح، و نحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. و ليس كلام اللّه من الأشياء المخلوقة،
لأن الكلام صفة المتكلم، و اللّه تعالى بأسمائه و صفاته أول ليس قبله شيء،
(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ)و هو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه.
و أنه على كل شيء وكيل،و الوكــــــالة التــــامة لا بد فيها مــــــن:–
1–علـــــم الوكيل،بما كان وكيلا عليه، و إحاطته بتفاصيله،2–و من قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه،3–و من حفظ لما هو وكيل عليه،4–و من حكمة، و معرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها و يدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله،
فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.و من المعلوم المتقرر أن اللّه تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته
فإخبـــاره بأنه على كل شيء وكيــــل:–
1–يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء،2–و كمال قدرته على تدبيرها،و كمال تدبيره،
3–و كمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.62
(لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ)الْمَفَاتِيحُ بِالْفَارِسِيَّةِ علما و تدبيرا- خزائن السموات وَ الْأَرْضِ.
فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا و إكراما،ذكر حال من عكس القضية
فلم يقدره حق قدره، فقال:–(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)الدالة على الحق اليقين و الصراط المستقيم.
(أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)خســـروا ما به تصلـح القلـوب مـــن:–التـــأله و الإخــــلاص للّه
و مـــا به تصلــــح الألسـن مـــن:–إشغالهـــا بذكــر اللّه، و ما تصلح به الجــوارح مـن:–طـــاعة اللّه63
(قُلۡ)يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير اللّه:–
(أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ)أي:–هذا الأمر صدر من جهلكم64

(وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ) من جميع الأنبياء(لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ)ليبطلنَّ(عَمَلُكَ)

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)دينك و آخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، و يستحق العقاب و النكال65

(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ)لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، و أخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص

فقال:-(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ)أخلص له العبادة وحده لا شريك له(وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) للّه على توفيق اللّه تعالى

فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كــــ:-

1-صحـــة الجسم و عافيته2-و حصـــول الرزق و غير ذلك،

كذلك يشكر و يثنى عليه بالنعم الدينية، كــــ:-1-التوفيــــق للإخلاص،2-و التقـــوى،

❍بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة،و في تدبر أنها من اللّه تعالى و الشكر للّه عليها:-

ســــــلامة من آفة العجــــــــب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم،

و إلا فلو عرف العبد حقيقة الحال،لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

[البخاري]4811- عَنْ عَبْدِ اللّه ﷺقَالَ:-جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺفَقَالَ:-
يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ:-أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ و الأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ،و الشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ،
و الماءَ والثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، و سَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ
ﷺحَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ،ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللّه ﷺ:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}66

(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ)ما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره،و لا عظموه حق تعظيمه

(وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ)في قبضته(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) على سعتها و عظمها

(مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ)(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) تنــــــــزه و تعاظم عن شركهم به67

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ
قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ
فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ
فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)و هو قرن عظيم فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين،و أحد حملة عرش الرحمن.

(فَصَعِقَ)غشي أو مات(مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ)كلهم لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها

(إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ)ممن ثبته اللّه عند النفخة،فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم،و غيرهم و هذه النفخة الأولى:- نفخة الصعق،و نفخة الفزع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ)النفخة الثانية نفخة البعث (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)قد قاموا من قبورهم لبعثهم و حسابهم قد تمت منهم الخلقة الجسدية و الأرواح،و شخصت أبصارهم (يَنظُرُونَ)ماذا يفعل اللّه بهم68

(وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)أَضَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ

(وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ)كتاب الأعمال و ديوانه، وضع و نشر،ليقرأ ما فيه من الحسنات و السيئات

(وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ)ليسألوا عن التبليغ،و عن أممهم، و يشهدوا عليهم

(وَٱلشُّهَدَآءِ)من الملائكة، و الأعضاء و الأرض(وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ)العدل التام و القسط العظيم

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)شيئًا بنقص ثواب أو زيادة عقاب(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)من خير أو شر

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)في الدنيا من طاعة أو معصية69

(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)سوقا عنيفا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد(إِلَىٰ جَهَنَّمَ)

(زُمَرًاۖ)فرقا متفرقة،كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، و تشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، و يبرأ بعضهم

من بعض(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا)وصلوا إلى ساحتها(فُتِحَتۡ)لهم أي:–لأجلهم(أَبۡوَٰبُهَا)لقدومهم

(وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ)مهنئين لهم بالشقاء الأبدي،و العذاب السرمدي و موبخين لهم

(أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ)من جنسكم تعرفونهم و تعرفون صدقهم، و تتمكنون من التلقي عنهم؟

(يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ)التي أرسلهم اللّه بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ)و هذا يوجب عليكم اتباعهم و الحذر من عذاب هذا اليوم،

باستعمال تقواه، و قد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟(قَالُواْ)مقرين بذنبهم، و أن حجة اللّه قامت عليهم:–

(بَلَىٰ)قد جاءتنا رسل ربنا بآياته و بيناته،و بينوا لنا غاية التبيين،و حذرونا من هذا اليوم(وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ)وجبت

(كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)بسبب كفرهم التي هي لكل مـــــــن:–

1– كفـــــــر بآيات اللّه 2–و جحـــد ما جاءت به المرسلون 71

فاعترفوا بذنبهم و قيام الحجة عليهم فـــــــ(قِيلَ) لهم على وجه الإهانة و الإذلال:–

(ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ)كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها و يوافق عملها

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)أبدا، لا يظعنون عنها، و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا ينظرون

(فَبِئۡسَ مَثۡوَى)بئس المقر النار مقرهم(ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ)لأنهم تكبروا على الحق72

ثم قال عن أهل الجنة:–(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ)

بتوحيده و العمل بطاعته، سوق إكرام و إعزاز، يحشرون وفدا على النجائب

(إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ)جماعة بعد جماعة فرحين مستبشرين:–الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يُنَاسِبُهُمْ:-الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصِّدِّيقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ،
وَ الشُّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ،وَ الْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ وَ كُلُّ صِنفٍ مَعَ صِنفٍ،

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا)وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة و المنازل الأنيقة، و هبَّ عليهم ريحها و نسيمها،

(وَفُتِحَتۡ)لهم (أَبۡوَٰبُهَا)فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها(وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا)تهنئة لهم و ترحيبا:–

(سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ)سلام من كل آفة و شر حال عليكم(طِبۡتُمۡ)طابت قلوبكم بمعرفة اللّه و محبته و خشيته،

و ألسنتكم بذكره،و جوارحكم بطاعته(فـ) بسبب طيبكم(فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ)لأنها الدار الطيبة، و لا يليق بها إلا الطيبون

و قال في النـــار:-

(فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا)و في الجنة(وَفُتِحَتۡ)بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها،فتحت لهم أبوابها من غير إنظار و لا إمهال

و أما الجنـــــة:–

فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها و لا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها،

و مع ذلك:–فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها

بل يستشفعون إلى اللّه بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه اللّه تعالى73

(وَقَالُواْ)عند دخولهم فيها و استقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم و منَّ عليهم و هداهم:–

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ)

وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا و صلحنا،

فوفَّى لنا بما وعدنا، و أنجز لنا ما منَّانا كَمَا دَعَوْا فِي الدُّنْيَا:-

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَا}[آلِ عِمْرَانَ: 194]

(وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ)أرض الجنة

(نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ)

ننزل منها أي مكان شئنا، و نتناول منها أي نعيم أردنا،ليس ممنوعا عنا شيء نريده

(فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ)الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع،فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمر74

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ)أيها الرائي ذلك اليوم العظيم(حَآفِّينَ)محيطين(مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ)قد قاموا في خدمة ربهم، و اجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ)ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون و ما لم ينسبوا.

(وَقُضِىَ بَيْنَهُم)بين الأولين و الآخرين من الخلق(بِٱلْحَقِّ)الذي لا اشتباه فيه و لا إنكار، ممن عليه الحق

(وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)لم يذكر القائل من هو [بَلْ أَطْلَقَهُ] ليدل ذلك على :–

أن جميع الخلق-نَاطِقِهِ وَ بَهِيمِهِ- نطقوا بحمد ربهم و حكمته على ما قضى به على أهل الجنة و أهل النار،

حمـــــــد:–فضـــــــل و إحســـــــان و حمـــــــد:–عـــــدل و حكمـــــة75